مقالات

خَرشات 2

جَهان سَمرقند

aseixanali.com

كَربشات[2]

جَهان سمرقند

دار الزنبقة للنشر الالكتروني الحر

obeikandl.com

خربشات 2

اصدار الكتروني 2014 ، كل حقوق التصميم محفوظة للدار وللكاتبة .

الغلاف الخارجي واللوغو من الحقوق الفكرية لدار الزنبقة للنشر الالكتروني الحر .

الخط المستعمل في الغلاف الداخلي الاول خط شبكة خرابيش .حقوق الخط تابعه لها مع اتاحة استعماله غير التجاري .

يجوز اعادة النشر ووضع روابط تحميله واعادة تحميله دون استعمال تجاري حسب

قوانين الابداع المشاع العالمي المتعارف عليها بـ creative commons نسخة رقم 4.00 .

النص الكامل لمجموع مقالات الكاتبة جهان سمرقند تحت اسم (خربشات 2) © 2014

جهان سمرقند ، دار الزنبقة للنشر الالكتروني الحر .

obeikandl.com

~توطئة~

هذا الكتاب عبارة عن تجميع لمقالات كنت قد كتبتها في مناسبات مختلفة، أو تبعا لأحداث و ظروف معينةمدفوعة بزخم اللحظة و تهيّج المشاعر و تقلّبات المزاج، فجاءت المقالات مزيجا بين تشاؤم مفرط و تفاؤل حذر، بين إحباط مبرر و أمل رفيع يشق بصيصه عتمة الواقع، و ما مرد كل هذا إلا لتفاصيل يومية أجدها عالقة بي في آخر يومي، فأنزعها انتزاعا و أبعثرها على الورق كيفما اتفق.

هذه المقالات هي نسيج من رؤيتي حول مواضيع و أحداث، لا أدعي أنها جاءت نتاجا لخبرة طويلة في الحياة بل هي مجرد تصورات شخصية شكلتها عنها و تبقى دائما عرضة لإعادة النظر و التدبر، ذلك أن الحياة تلقننا كل يوم شيئا جديدا و تمنحنا خبرة جديدة تزيدنا نضجا و وعيا، و إنما كتبتها لأشهد التاريخ إني مررت يوما من هنا، و تكون لي أمام نفسي حجة عن تقدمي في الحياة و تغيري، فالحياة حركة و الموت سكون..و إن كنت غيرت بعضا من آرائي فأنا على مبادئي أشد تشبثا..

و قد اخترت لها عنوانا " خربشات ٢" كجزء ثاني لأول إصدار لي " خربشات" و الذي يقوم على نفس المبدأ، و هو تجميع لمقالات ..و لم أجد له من عنوان مناسب غير هذا لأنها كانت بالفعل خربشات على حيطان شبكات التواصل الاجتماعي، كطفل صغير لم يتعلم بعد الكتابة فيمسك طبشورا و يخربش على الحيطان ليعبر عن أشياء لم يجد من سبيل آخر للتعبير عنها غير هذا، فأرجو أن تكون هذه الخربشات عند حسن ظنكم و في مستوى قراءاتكم.

oberkanol.com

"على قدر حلمك يتسع الكون.."

على قدر حلمك يتسع الكون..

عبارة رائعة من أجمل ما قرأت، لكن السؤال الذي يتبادر إلى ذهني، هل يتسع لنا الكون في أحلامنا أم في واقعنا..

يبدو أنه يتسع فقط في أحلامنا، ذلك أن الواقع يكرس منطقا آخر:

على قدر جهلك يتسع الكون..تمتد الأفاق و تفتح الأبواب..

نعم إنه الواقع، و هو " واقع" لأنه وقع بكل ثقله علينا..

و هي الحياة التي تكلم فيها الفلاسفة و الأدباء فأفاضوا و أسهبوا، و مع ذلك لم صلوا لفهم كنهها..

فجاء أحد حكماء هذا العصر و توصل أخيرا إلى عبارة تختصر مفهوم الحياة و تجردها من كل تعقيداتها، و قد عبر عنها بلغة العلم و الحضارة، لغة فولتير..تقول العبارة :

On va s'aimer, on va danser..Oui c'est LA VIE

نعم إنها الحياة..و إنها العبارة التي صفق لها الجميع كاكتشاف عظيم و إجابة لتساءل ظل يؤرق البشر طيلة قرون..

هذا الذي لم يحظ من العلم إلا يسيره ذاع صيته مشارق الأرض و مغاربها ..

و رفع صوته ليرفع به بيتا لا عماد له....

ذلك البيت الذي لم يرفع يوما إلا بالعلم ..

" سنحب، سنرقص..نعم إنها الحياة"

أهي حقا بسيطة لهذا الحد...أم أن عقل الذي توصل إلى هذه العبارة و الذي تغنى بها هو البسيط.

قد يكون جمال الحياة في تعقيداتها و عقدها التي نستمتع بعَقدها و حَلها كطفل صغير تعلم للتو ربط حذائه..

obeikandi.com

قد تكون متعتها في اختبار الوقوف بعد الوقوع..

الفرح بعد الحزن..

النجاح بعد الفشل..

الثقة بعد الخيبة..

في الحنين للماضي و الخوف من المستقبل ..

في كل تلك المشاعر المختلطة..في الرقص فرحا و الرقص حزنا..

هو شاب تجاوز الخمسين قال كلمته .. فصفق له الجميع و لا ادري هل صفقوا لصوته أم لما قاله..

لكن المهم انه نطق أو نهق فأسمع..." **وينطق فيها الرويبضة".**

ملاحظة: لاشيء شخصي احمله ضد هذا الشاب/الشيخ..غير أني أحمل الكثير ضد هذا العالم الذي يرفع الناس على قدر اصواتها لا افهامها..

obeikandl.com

"تناقضات"

في الوقت الذي تعتزم فيه دبي بناء برج تدور طوابقه كل ساعة في اتجاه، قرى بأكملها تباد في بورما..

في الوقت الذي تصرف الملايين و بالعملة الصعبة للتصويت على متسابقي " Arab Idol" و غيرها من البرامج التي لا تسمن و لا تغني من جوع..يموت الأطفال جوعا في الصومال..

في الوقت الذي تدفع امرأة ملايين الدولارات للاعبي ريال مدريد للحضور إلى بيتها و اخذ صور مع أبنائها...لا يجد اللاجئون السوريون بيوتا يحتمون بها..

في الوقت الذي يشتري أثرياء البترول سيارات من الذهب الأبيض..يفر أهالي مالي للنجاة بحياتهم لا يملكون نعالا في أقدامهم..

في الوقت الذي نحيي فيه يوم الأرض ..تقتطع منا في كل يوم أرض و يزداد عددنا تحت الخيام..

نحن الذين ما فتئنا نلقن أن مَثلنا كالجسد إذا اشتكى شيئا تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى..علمناها و لم نعمل بها..

بلغنا من الذل أننا نموت من أجل الكرة، من اجل حفل غناء، مغني، السكر، الزيت..من اجل كل شيء و أي شيء إلا من أجل كرامتنا ..

كرامتنا الممتدة من أقاصي شرق آسيا إلى المحيط الأطلسي...

من أعالي بلاد القوقاز إلى أعماق أدغال أفريقيا..

كرامتنا في كل جبهة سجدة لخالق الخلق و آمنت بسيد الخلق..

ماتت فينا فلم نعد نمت من أجلها..

لكن و في خضم كل هذه الأحداث الكثيرون مشغولون عما إذا مات البوطي شهيدا أم لا..هل تاب قبل موته. و هل و هل ؟؟ و كأن كل مشاكلنا اختصرت في هذا السؤال!! و الجواب عنها سيجلب لنا النعيم.

لما نحب احتكار الحقيقة؟؟ لما نحب احتكار الجنة؟؟

نحن اليوم أشلاء..و نرى صور أشلائنا على صفحات الفايسبووك و يُقال لك " اضغط لايك قبل إن تخرج"..بربكم كيف لي أن أعجب بموتنا؟!!

هل هان موتنا حتى على أنفسنا..نتشارك صور جثثنا كصور عائلية..ونؤدي واجباتنا الفايسبوكية بالضغط على زر الإعجاب.. و إن لم يكن حقا للإعجاب فهو نوع من تبرئة الذمم أو هذا أقصى تضامن لنا تجاه القضية..

غثاء نحن كغثاء السيل..

طلبنا العزة في غير أعزنا به الله ...و النتيجة نعيشها

لا أسوء من الموت ذلا..

obeikandl.com

" و يعود أيار .."

ويعود أيار..تتساقط أوراق الأزهار

تمسح الغيوم أخر دموعها ..

يذبل البنفسج و يموت النرجس و لا تبقى سوى الذكريات..

ترقد هناك في شقوق الذاكرة تتربص بنا..تتحين الوقت لتنقض..

تسكن في كل غمضة ، في كل شهقة..

في كل نبضة ، في كل دقة.... و في كل همسة..

تستقر بين الواقع و الحلم.. بين الحقيقة و الوهم..

في تلك المساحة بينهما حيث الحياة و اللاحياة ...

أين نبقى معلقين يجذبنا الحنين للقعر و يشدنا الكبرياء للقمة...

ذلك الكبرياء الذي لا يرفع الرأس حتى يكسر الظهر فلا شيء بعده يستقيم..

يعود أيار ..

و على الطريق ترتصف أزهار اللوز و يفوح عطر الزهر و الياسمين..

من بين الوجوه النحاسية تُبعث الحياة.. و يستيقظ التاريخ..

و من على عتبات البيوت القوطية يبكي الحنين شوقا..

و يعزف أيار لحنه ..فترقص الدنيا و تولد الذكريات على ضفاف الرمال..

و يرحل أيار ..

و يرحل أيار ...

يسود الصمت و تنتهي الرقصة..و في وسط العتمة يئن الأنين..و تبكي العيون ..

يرحل تاركا خلفه ذكرى..و في القلب حسرة و في العين عَبرة..

obeikandl.com

يا شهور السنة بأي حق طغى أيار و تجبر..

و انتم كإخوة يوسف إحدى عشر..

و ما أيار فيكم بيوسف..

بكل الشرائع أقيموا الحدود..

اعدوا اللحود..

و في المقبرة تحت ضوء القمر..احرقوا الجثة الهامدة..

احرقوا الذكريات..لتعيدوا الحياة.

obeikandl.com

"قفوا عند العتبة!"

هل تعرفون ما هي "العتبة"؟؟..إذا بحثنا في القواميس فسنجد أنها تعني خشبَةُ الباب التي يُوطَأُ عليها قبل اجتيازه، و العتبة من الأرض كل غليظ و قد تعني الأمر الكريه أو الشدة و عتبة الشباب أوله و هي أيضا كلُّ مِرْقَاةٍ من الدرج .. و قد أعجبني هذا المعنى الأخير العتبة وسيلة للارتقاء، لكن في وطني ليس "للعتبة" أي علاقة بالارتقاء، و نحن نسمع تلاميذ البكالوريا يثيرون الحديث هذه الأيام عن " عتبة الدروس" و التي – و أنا أتأسف حقا- تعني " تحديد الدروس التي على التلاميذ مراجعتها بدل المنهج بأكمله " لا ادري تماما مدى دقة هذا التعريف فالأمر لم يحدث على حد علمي في أي دولة..و هل للعلم حدود؟؟

أجل ..و فقط عندنا!! و بدل أن نرتقي و نرتفع في الدرجات..نحن نبحث عن حدود لعقولنا و فكرنا و حتى شعاراتنا توحي بذلك ..فنحن و منذ خمسين عاما " ما زال واقفين"..لم نتحرك قيد أنملة، نتظاهر فقط بأننا نتقدم بإحصاءات واهية و إنجازات مغشوشة..

ما فعله تلاميذ البكالوريا من مطالبتهم ليس فقط بتحديد الدروس بل أيضا بتسهيل الامتحانات و بالبساطة " تقديم النجاح لهم على طبق من ذهب و ربما أيضا تقبيل أيديهم و طلب رضاهم" ..

في الجزائر هذا ما يفعله الجيل الصاعد بسراويله الهابطة!!

منظومة تربوية نجحت بامتياز في إنتاج أجيال مفرغة من كل هوية و انتماء ..أجيال رصيدها من أغاني الراي أكبر من رصيدها اللغوي..أجيال ما تعرفه عن لاعبي كرة القدم اكبر بكثير مما تعرفه عن أبطال و رجالات هذا الوطن الأحرار..

في وطن يحظى فيه لاعبو كرة القدم بأرقى التكريمات التي لا يحلم بنيلها طالب عائد من سنوات الدراسة في الغربة بحقائب فارغة إلا من طموحاته التي تصادر في المطار على أنها ممنوعات..و لا يجد هناك من ينتظره سوى أب كاد يبيع من أعضاءه ليصرف على تعليمه و أم احترق فؤادها على فلذتها التي في الغربة..

في وطن ما يكسبه لاعب كرة قدم اكبر بكثير مما يكسبه حامل شهادة .. في محاولة لتكريس ثقافة تكريم الأقدام بدل العقول...

"و يبقى الأمل"

كنت أمشي هذا الصباح في شوارع المدينة...قسنطينة العلم و الثقافة بدأت تنحصر في قسنطينة.. أحسست أن الصخر يئن من تحتنا..يئن من وقع خُطانا و خطايانا..كيف لا و أنت ترى رجال لا يستحون من الوقوف للتبول (أكرمكم الله) أمام الملأ على هذا الصخر الذي أذل الغزاة يوما.. هذا الصخر الذي ارتوى يوما من دماء الشهداء حتى ثمل..اليوم يروى بالقذارة!!

نحن الذين نمتلك تاريخ عريق كان يمكن أن نجعله حجر الزاوية في بناء صرح حضارة و بدلا من ذلك جعلناه صنما لا احد يقربه..

لا أريد أن أبدو متشائمة فبالرغم من مظاهر التخلف التي تحيط بنا حتى تكاد تخنقنا..تبقى هناك فتحة يمر منها خيط الأمل الرفيع..

خيط الأمل في ذلك الصبي الذي طوى طاولة السجائر التي نصبها في حديقة بن ناصر لينضم للأطفال القارئين..

هذا الخيط الذي سأتشبث به عسى أن يصبح ذات يوم نسيجا نستر به عورات و نسد الرقع..

obeikandi.com

"دردشة"

في السبت الماضي، عندما ذهبت لشراء حذاء صيفي طلبت من البائع أن يعطيني مقاسي من الطراز الذي اخترته، و لما جربته قلت له "انه ضيق علي بعض الشيء" فأجابني: "هذا عادي فعندما تمشين به سيصبح مريحا أكثر.." و أضاف: " الله غالب هذي السلعة تع بلادنا"..أي انه علي أن أعاني الويل في انتظار أن تنشأ مودة و رحمة بين الحذاء و قدمي..هل كان من الصعب صناعة حذاء مناسب للقدم من أول مرة نرتديه فيها، لا شيء يُصنع بإتقان في هذه البلاد..عندما أتذكر ذلك الإعلان الذي كان يبث على القناة الوطنية "نشري منتوج بلادي باش نضمن مستقبل أولادي" و أقارنه "بمنتوج بلادي" في الواقع، فإنني أخشى انه على هذا المنوال لن نضمن وجود أولاد "لبلادي" إطلاقا مستقبلا...

ارتداء حذاء لا يناسب القدم مؤلم جدا، و لكن الأكثر إيلاما هو ارتداء قناع لا يناسب الوجه، و أفكار و قيم و مبادئ لا تناسب الفطرة..تبدو براقة جميلة لامعة و أنيقة لكنها مؤلمة و ضيقة و هم وحدهم فقط يحسون بألمها..

أشفق على هؤلاء!! يعيشون طيلة حياتهم لإرضاء الغير و إثارة إعجابهم..و في آخر حياتهم عندما يحين الوقت لخلع ما لم يناسبهم يوما سيفاجئون بمدى التشوه الذي طرأ عليهم في سبيل إرضاء من لا يفيد إرضائهم شيئا..

..

في طريقي إلى قصر مالك حداد أين يقام معرض الكتاب..كان يمشي قبلي شاب وفتاة تربطهما علاقة "على ما يبدو"..و على ما يبدو أيضا فهي علاقة رائعة (و رائعة هنا لا اقصد بها المستحسن و ما يثير الإعجاب إنما هي من الروع أي الفزع و الخوف)..فقد كان يصرخ عليها بألفاظ بذيئة و يسب الله دون أن تحرك هي ساكنا و اكتفت بالقول " أنا نروح من طريق و أنت من طريق" (الجملة الوحيدة التي استطعت سماعها للأسف!!)..يبدو أنها كانت تنهي علاقتها به، لكن الغريب في الأمر أنها رضيت أن يلقي عليها كل تلك القذارة في الشارع و على مرأى من الملأ، ألا تملك كرامة، عزة نفس، أنفة؟؟..ألا يجدر بها أن تثور و رب العزة يُسب أمامها؟؟؟ و هي ليست المرة الأولى التي أرى فيها مثل هذه الظاهرة..بل أكثر منها أيضا، صدقوني شاهدت مرة شاب كان يمسك فتاة و يضربها و هي مستسلمة تماما أمام وفد الصفعات الذي زار وجهها!!..ثم انتظرا حتى مررت و واصل سلسلة الضرب فلم أدري أ احتراما لي أم لها؟؟؟!!

ربما هذا نوع من الغزل الذي لم أسمع به أنا بعد؟؟ لما لا و الدنيا تتطور و العالم يتغير..

عموما اجزم أن هذا الصنف من البنات من سلالة العبيد و الجواري..ما كان لحرة أن ترضى بهذا!

لا علينا من هذا الأمر..المهم أني ذهبت بعدها لمعرض الكتاب و اشتريت لنفسي – كمقبلات فقط- أربع كتب، و لا أدري هل يمكنني إخباركم بعناوينها أم لا؟ فمذ قرأت مقولة " القارئ الحقيقي يعامل كتبه كالحريم" صرت أغار عليها من ظهورها للملأ..يجب إذن أن نجد فتوى لهذا الأمر..

لكم مهلا!! أليس "الكتاب" مذكر؟؟ و منذ متى يُحجب الذكور..تبا إذن لهذه المقولة و إليكم العناوين (عناوين الكتب و ليس الأخبار)

- حي بن يقظان لابن طفيل
- المدينة الفاضلة للفارابي
- الحرية و الفن عند علي عزت بيجوفيتش (و الذي أنا مغرمة به هذه الأيام)
- ثقافة العبث لعلي بن إبراهيم النملة.

عموما المعرض لا بأس به و الأسعار معقولة..كالعادة يطغى الكتاب الديني، الكتب المتخصصة في الطب و القانون، قواميس، بعض الروايات و دواوين الشعر، كتب التنمية البشرية التي لا أميل إليها كثيرا لا ادري لماذا..ربما لأنه لا يوجد تناغم بيننا، فلما أقرأ على سبيل المثال كتابا عنوانه "القراءة السريعة" أغتاظ جدا..من قال أن القارئ الحقيقي يريد القراءة بسرعة ..وحدهم البراغماتيون يفعلون ذلك...فبعد الأكل السريع و النقل السريع و الاتصال السريع ها هم يريدون تسريع آخر المتع المتبقية في هذا الكوكب.." القراءة"!!

القراءة متعة و نشوة.. هي كقطعة شكولاطة فاخرة تستلذ على مهل ..كفنجان قهوة على صوت فيرو يرتشف على مهل.. الكتاب الجيد صديق لا يهون فراقه..

المهم..انوي العودة للمعرض لمواصلة وجبتي الروحية ..كان من الجميل رؤية الفنان حميد عاشوري و هو يقتني الكتب كان متواضعا و خفيف الظل و لم يمانع من اخذ الصور مع الذين طلبوا ذلك..حتما لم أكن منهم ..

نسيت أن أخبركم لأول مرة استرقت النظر على كتب الطبخ!!

كان هذا مجرد حديث بيني و بين أصدقائي و شكرا لخولة التي رافقتني رغم تعبها.

"كرامة في طريق الزوال"

في صباح هذا اليوم...و أنا في الحافلة..جلس قبالتي شيخ كبير...شيخ قد أثقلت السنون كاهله.... قامت التجاعيد بوجهه شاهدة على خيبات أمل مرت عليه...كان في عينيه شيء جميل من زمن لم نعشه... لا أدري ..شيء من الصفاء...صفاء الضمير ربما. ..و بقية من كرامة ترفض أن تغادر هذا الوجه.. هندامه كان بسيطا ..تلك البساطة المحببة..الصادقة...بساطة الشعب....و في أحد المحطات و قبل أن تتوقف الحافلة ..رأيت الشيخ يهم بالنهوض ..و فتح باب الحافلة ..فصعد شيخ أشيخ منه.....و قام هو ليترك له مكانه...قام على استحياء ..ليترك له مكانه...أردت أن أقبل رأسه...أقبل مروءة بدت غريبة عن هذا الزمن...ربما ستقولون ..أي شخص كان سيقوم لرجل طاعن في السن...لكن سأقول لكم لقد قام قبل أن يفتح الباب حتى!! ..سبقته لهذا قيمه التي تكبره في السن ....و مرت في ذهني حينها..حادثة شهدتها الأسبوع الماضي...عندما تشاجرت "فتاة" في مؤسسة تربوية مع مدير المؤسسة الذي يكبرها ثلاث مرات في السن...بقيت مذهولة حينها...لأنها أظهرت وقاحة و صفاقة منقطعة النظير..لم تضع أي اعتبار لا للسن و لا للمنصب، لدرجة أنها عند مغادرتها..قالت له: " سنلتقي خارجا" ...سيكون من الإجحاف المقارنة بين الحادثتين...لكن التساؤل ماذا حدث في السنوات التي تفصل بينهما...ليحافظ الشيخ على مروءته بحياء..و تفقد الفتاة أدبها بوقاحة؟؟؟؟!!...أين أضعنا تلك المروءة و الحياء...في أي نقطة من التاريخ أضعناهما.. لنعود أدراجنا بضع سنوات..و نبحث عنهما ..علنا نجدهما...

ثم قررت أنني سأتأمل اليوم قدر الإمكان وجوه الناس..لأبحث عن ذلك الشيء الجميل الذي رأيته في وجه الشيخ....لكن الأشياء الثمينة ..يصعب إيجادها...فقد غاب الحياء و لم يبقى سوى القليل من الكرامة المهددة بالزوال.

يحكى أن الجزائري كان لا يموت إذا غادرت روحه جسده..لكنه يموت إن غادرت كرامته أنفه.... كانت كرامته تسع أمة ..فيمضي شيكا على بياض ..من أجل إخوانه...و كرامة شعبه..و شعبه كان كل من اتخذ الكعبة قبلة له...و مرت السنون و صار الجزائري يفتح جسرا جويا بين الجزائر و السودان من اجل مباراة في كرة القدم...و لا يفعل هذا من أجل إخوانه ...من أجل إخوان يحرقون أحياء في بورما...أطفال يقصفون في سوريا.. شعب يباد في غزة...نساء يغتصبن في العراق.. و من أجلنا نحن الذين نموت كل يوم ذلا من عجزنا....ما أقسى الموت ذلا!! ...الدول كالرجال ...قيمتها بمواقفها...

و لا شيء يضاهي كرامة الإنسان...الكرامة من الروح كالقلب من الجسد....و إن كان العقل هو ما فضل الله به الإنسان عن الحيوان...فالكرامة هي ما يفصل الحر عن العبد

دمتم كرماء..أعزاء بعزة هذا الدين.

obeikandl.com

"لمن أهدي صوتي"

و أنا مستلقية أشاهد التلفاز بذهن شارد و عقل ذهب بعيدا.. يتدبر في حال هذه الدنيا ...و هذه حالتنا نحن الحكماء!! حتى أعادني إلى لواقع "صوت" و أعذروني لاستعمال كلمة "صوت"، في انتظار بديل يعبر أفضل عن ذاك النشاز!! و تبيّن أنها كانت فرقة Caméléon التي ذاع صيتها بين المراهقين و حققت نجاحا باهرا، و لا ادري على أي أساس نجحت هذه الفرقة...فلا الإيقاع كان جيدا و لا الكلمات!! أما الصوت فصدقوني صوتي عندما أتحدث أجمل بكثير من صوت هذا " المغني" و هو في أقصى عطاءه..مع العلم أن شهادتي في نفسي غير مجروحة إطلاقا.

صحيح أن الأذواق لا تناقش،غير أني أسمح لنفسي هذه المرة بمناقشتها!! فقد أصبحت في كل الأمور مجرد موضة...فما الذي يجعل مغنيا ينجح و هو لا يملك أدنى معايير الموهبة؟؟ إنها "الدعاية"...فيكفي فقط أن تقرر ثلة من الناس أن هذا المغني جيد و "عصري" حتى تنقاد وراءه الجماهير،و "عصري" كلمة مغرية جدا و لها بريق خاص و "التُبع" كثيرون.. و الأمر ينطبق على الكثير من جوانب الحياة. ففي اللباس إذا قررت دور الأزياء في كبرى " عواصم الموضة" أن هذا أو ذاك اللون دارج هذه السنة، فستصبغ الدنيا به حتى لا تكاد ترى غيره.و إذا قرروا أن يدرجوا هذه السنة الكعب العالي فسترى فارعات يرتدينه، تحسبهن من بعيد نصبا تذكارية،وهلم جرا.و إذا قرر "شاذ" في أمريكا أن " السراويل الساقطة" عصرية و " آخر صرعة"، فلا تستغرب إذا رأيت الشباب لا يتحرجون من إظهار "ملابسهم الداخلية"...التي لم تسمى "داخلية" إلا لأنه من المفترض أن تبقى في الداخل!! و أقترح في سياق الكلام إرفاقها بدليل الاستعمال،حتى يدركوا الفرق بين "الداخل" و "الخارج" و الغريب في الأمر انه حتى معايير الجمال صارت تخضع "للموضة"،فالكثيرات يخضعن لعمليات التجميل و يغيرن خلق الله فقط ليواكبن الموضة، من نفخ للشفاه و رفع للخدود، حتى أصبحن يشبهن بعضهن بشكل فضيع!! نسخ مقلدة و مريعة عن " مسوخ " من " كوكب القردة"،و قررت عند حديثي عليهن أن لا استعمل بعد اليوم عبارة " تقاسيم الوجه" و استبدلها " بتضاريس الوجه" ... لكن المصيبة و الطامة الكبرى هي في امتداد الموضة إلى " القيم"، فكل شيء أصبح يستبدل...يصنع..يعلب ...و يعرض للاستهلاك. أناس يلبسون رداء الورع نهارا و يخلعونه ليلا، يبيعون ضمائرهم لمن يدفع أكثر، يغيرون قيمهم لتواكب العصر، يزينون القبيح، يصبغونه بألوان زاهية، يمنحونه أسماء جديدة.. براقة:الانتهازية، الابتزاز، الغش، الرشوة

كلها تندرج تحت مسمى " الشطارة". قوائم الانتخابات مليئة بمن يشك في نزاهتهم، من استبدلوا بالضمير المنصب، من الصعب على أي شخص من عامة هذا الشعب أن يصدق صفاء نية واحد من هؤلاء.

لا ادري أالكلام ساقني للحديث عن الانتخابات أم أنا التي سقته**!!** المهم أنا شخصيا لا أنتخب،و إن كان و لابد من استعمال "صوتي" فأنا حتما سأستعمله في الغناء و أنا أغسل أواني العشاء، ذلك أن صوتي أجمل من صوت "Caméléon"...

دمتم منتجات أصلية غير متوفرة في الأسواق في زمن كثرة فيه النسخ المقلدة....

obeikandl.com

"عيون المها"

عثر منذ بضعة أيام على هاتف لفتاة تدرس في الثانية متوسط و تمت حسب القانون الداخلي مصادرته، و قامت إحدى المراقبات بالاطلاع على الرسائل القصيرة فيه فاكتشفت من خلالها أن الفتاة على علاقة بشاب..

قصدتني التلميذة يوم الخميس و طلبت مني إن كان بإمكاني إعادته لها، حينها لم أجد ما أقوله له أمام وجهها البريء و صوتها الرقيق فاكتفيت بأن قلت أن على والدتها أن تأتي لاسترجاعه..

أحسست بعدها بنوع من المسؤولية اتجاه الفتاة و قررت أن أتحدث معها في الأمر..

هذه الصبيحة و على الساعة العاشرة وقت الراحة طلبت من زميلاتها الخروج من القسم و طلبت منها البقاء لأن هناك حديث بيننا ..

حسنا أنا لا أجيد إطلاقا هذا النوع من الأحاديث لكن توكلت على الله و بدأت.

-شيماء هل استعدت هاتفك؟؟!

-كلا ليس بعد

-بخصوص الهاتف لقد قُرأت الرسائل التي فيه و أنت على علاقة بشاب

- أستاذة لست الوحيدة التي تخرج مع شاب

في الحقيقة أربكني جوابها هذا، فأنا لم أتوقعه إطلاقا..

سألتها عن عمره قالت: "ستة عشر سنة"

قلت في نفسي تبا هو أيضا صغير..لو كان اكبر منها بكثير للعبت على هذه النقطة..

قلت لها هل فكرت فيما سيحدث لو اكتشف والدك الأمر ؟؟

-والدي ميت و في الأول من ماي ستمر سنتان علي وفاته

تبا و تبا و تبا لي مرة أخرى..فقدت نصف أوراقي ، تضعضعت قليلا ثم استرجعت قوتي.

شيماء فتاة مؤدبة بوجه بريء ،و عينان جميلتان كعيون المها، توحيان بالوداعة، و أنا أحب النظر في العيون لأنها نوافذ على الأرواح، هناك عيون طيبة و أخرى لئيمة، عيون عميقة و أخرى فاترة، عيون متقدة و أخرى خامدة..

و لا تعتقدوا أن شيماء هذه سيئة، فهناك فرق بين الشر و الخطأ..هي حتما أخطأت و هي صغيرة لكن لا يعني أنها شريرة.. ثم أن الخير و الشر وجهان لعملة واحدة..فكل منا يحتوي نسبة من كليهما..البعض يغلب عنده الخير و البعض يغلب الشر و البعض يتساويان معا..

و حتى و أنا أتحدث معها عندما طأطأت رأسها ..قلت لها ارفعيه و لا تسمحي لأحد أن يُذلك!! و أن يوطي رأسك.

أنا لن ألقي عليك الدرس الشهير عن الشرف و عن أن يُسرق منك اعز ما تملكين.. مذ صار الشرف ورقة يحررها الطبيب توقفنا عن الحديث عنه..و تركناه لأهل "الشرف"!

سأحدثك عن الأشياء التي ستفوتين عيشها ...عن الأشخاص الذين ستفوتين معرفتهم..عن أنك مازلت صغيرة و ستكبرين و حينها ستتمنين لو يعود بك الزمان لتعيش طفولتك و مراهقتك بكل زخمها ..

أنا لا أقول لك لا تحبي..أحبي و أحبي بكل قلبك..أحب لله و في الله ..أحب من أجل الحب لا من أجل الشهوة..لكن لا تحبي بجوارحك..

و ما أحببتها فحشا و لكن** رأيت الحب أخلاق الكرام

وأشرف الناس أهل الحب منزلة** وأشرف الحب ماعفت سرائره

الحب الحقيقي العذري عفاف و طهر و ما يروج لنا شهوة و عهر..ترفعي عن كل هذا حافظي على سمعتك فهي ليست لك وحدك..و لا يحق لك أن تمنحي ما ليس لك وحدك..وراءك عائلة تشترك معك فيها..

شيماء أنا لم أحدثك إلا لأني أحبك و أخشى عليك من الأذى..

نحن نعيش في مجتمع لا يحاسب الرجل على زلاته و لو أنجب جيشا من اللقطاء و يحاسب المرأة و لو كانت مغتصبة..و لن يرحمك أنت أيضا ،و سينتظرون منك أول زلة ليانهالوا عليك تقطيعا..لا تمنحي لهم الفرصة لذلك.

انتهت العشرة دقائق ..و انتهى حديثي و شيماء و لم أنهه بعد..و ذهبت و أنا أحس أن كلامي لم يصل إلى أعماقها بعد..رغم عبارات " شكرا على النصيحة و معك حق" لكن يمكنني معرفة مدى تأثير كلامي على شخص ما..

أحسست بشيء من الحزن ففي النهاية أنا لا املك عليها أي سلطة لكن أردت أن أحيلها إلى سلطة ضميرها..

هل سأطرح هنا ذلك السؤال الروتيني من المسؤول؟؟

الأولياء بقلة مراقبتهم، بسماحهم لأبنائهم بمشاهدة المسلسلات التركية الغارقة في الرومانسية و البعيدة عن الأخلاق و الواقع أو على الأقل واقعنا نحن

من لا يخش الله في أولاده و يطعمهم السحت لا يأمل أن يكونوا ذرية صالحة " كل لحم نبت من سحت النار أولى به"..

المجتمع الذي ييسر الحرام و يعسر الحلال..فلو فرضنا أن هذا المراهق الذي تعرفه شيماء جاء لخطبتها فإن أهله و أهلها سيرفضون بحجة أنهما مازالا صغيرين..في حين أنهما لا يحسان نفسيهما كذلك..

نحن نعيش في برزخ بين الأصالة و المعاصرة..فلا نحن مجتمع محافظ تماما و لا منفتح تماما..

لا متدين تماما و لا لائيكي تماما..لا مؤمن و لا ملحد..

نحن بقينا مذبذبين لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء..

حسنا ! لا أريد التوسع أكثر في هذا الموضوع فهو يحبطني

في الأخير شيماء ما هي إلا نموذج كما قالتها هي مبررة فعلتها " لست أنا الوحيدة من تفعل هذا"، كسرت ظهري بهذه الجملة، و غيرها كثيـــرات جدا

و لهذا أختم بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(لَا تَكُونُوا إِمَّعَة ، تَقُولُونَ : إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْلحْسَوَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا ، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا ، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا).

" هكذا تقتل الأفكار فيك يا وطني"

لم تنجح القنوات الجزائرية الفضائية الخاصة سوى في إدخال ثقافة الشارع إلى البيوت الجزائرية، بلغتها المنحطة و مستواها الهابط و برامجها التي يعوزها العمق في الطرح، زد على ذلك فإنها تقتات من مآسي الناس لرفع نسب المشاهدة، حتى أن منهم من لم تتحرج في نقل تفاصيل وفاة مراهق غرقا ، تصوروا شخص يموت و كاميرا تصور و قناة تنقل و حرقة قلب والدين يشاهدان ابنهما كيف يموت!!..و أكثر ما أمقته هو التقنية المتبعة لإثارة المشاعر بتقريب الكاميرا إلى عيني الشخص لرصد دمعة مع القليل من المؤثرات و الموسيقى الحزينة..

إعلام يتاجر بمشاعر الناس ثم يتشدق بالضمير المهني و الإعلام الهادف..من فضلكم حددوا لنا ما هو معنى "هادف"؟؟

على ذكر هذه القنوات ..فقد بثت قناة L'Index حصة عن الإمام عبد الحميد بن باديس، حياته و مآثره ثم زارت مؤسسة عبد الحميد بن باديس بالبطحة (و هي منطقة في قلب قسنطينة)، و هناك في تلك المؤسسة عرضت بعض الأشياء الخاصة بالشيخ كعباءته و الكرسي الذي كان يجلس عليه و المذياع الذي كان يستمع فيه، و هنا تتساءل ما معنى هذا؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

ما الذي يهم حقا في عرض مثل هذه الأمور و كأنها مقدسات؟؟؟

العلامة الإمام -رحمه الله- و بالرغم من مآثره الجمة إلا انه يبقى بشرا غير معصوم و من الإجحاف - له أولا- أن نختصر كل الفكرة الإصلاحية التي عاش من اجلها في شخصه وحده أو في شخص الجمعية من بعده فنحتفي به و ننسى ما كان يصبو إليه..لكن للأسف هذا ما حصل و مازال يحصل إلى الآن!!

فقد ربطنا العلم بشخص "بن باديس"، و جعلنا احتفاءنا بالعلم احتفاء به، و احتفاءنا به بذكر مولده و نشأته و مآثره، رسم بورتريهات له ، قليل من المسيرات الكشفية ، بعض المحاضرات عن حياته هنا و هناك، معارض الكتاب، حفلات مدرسية ، و نطوي ذلك اليوم في انتظار ١٦ أفريل آخر..و ما أصلحنا في تربيتنا و علمنا شيئا..

المشكلة في هذا الأمر هو شخصنة الفكرة أو كما سماها مالك بن نبي " الفكرة المتجسدة"..و هي من احد الأساليب الناجعة في قتل الفكرة، ذلك انها تموت بمجرد وفاة صاحبها و القائل

بها سواء كان فردا أو مجموعة أو جمعية أو حزب، و هذا في مقابل الفكرة المجردة القائمة بذاتها غير المنسوبة لأي شخص فيصعب حينها قتلها و القضاء عليها(و أن لم يكن مستحيلا تماما)..

كان من الأجدر الاهتمام بمواصلة مسيرة الإصلاح و التعمق فيها و توسيع نطاقها، و لا أخفيكم علما أن قلت انه لحد ألان لم تتح لي الفرصة للتعرف على فكر الإمام ذلك أن كتبه نادرة أو تكاد تكون، و كل ما هو متوفر الآن في الساحة هي كتب ألفت عنه و التي عادة ما تفتقر للموضوعية و لا أسوء من قراءة النتاج الفكري لمفكر عبر عيون الغير فهذا لا يسمح للمرء بتشكيل نظرته الخاصة، و حالي هذا هو حال الكثيرين من أبناء المدرسة التلقينية التي أغفلت "تلقيننا" هذا الجزء عن قصد أو دونه..

و أنا هنا لا أقصد الشيخ رحمه الله في حد ذاته ، إنما أشير بالأخص لمشكلة فكرية سائدة عندنا على الأقل، فنحن (حتى لا نلقي دائما فشلنا على الاستعمار الخارجي فالاستعمار الوحيد الذي مازال موجودا هو ذلك الذي في رؤوسنا) متفوقون في إماتة الأفكار بتقليصها و حصرها في عالم الأشخاص(العلم و الإصلاح في شخص بن باديس، ثورة التحرير في مليون و نصف شهيد و عدد من المجاهدين لا ادري كيف يتكاثرون!!، الكرة الجزائرية في جيل ٨٢، الدبلوماسية الجزائرية في شخص بومدين و هكذا..) و بالتالي نضفي شيء من القداسة على هؤلاء الأشخاص، فنحملهم و هم تحت التراب أكثر مما يطيقونه كبشر، و أي نقد للفكرة سيعتبر نقدا لذواتهم، في حين أنه ليس كذلك و إنما تنمو الأفكار و تتكاثر بالنقد، و هذا ما جعلنا " مازال واقفين" فقط لم تحرك على الصعيد الفكري قيد أنملة، و من يجرؤ و يتجرأ على جعل أي من هذه الأفكار موضوع دراسة و نقد سيتهم فورا بواحدة من تلك التهم المعدة مسبقا و الجاهزة للاستعمال " المساس بالرموز الوطنية"..نحن نحتاج لوطن حقيقي لا لرموز فقط!!

و هذه السياسة المتبعة في قتل الأفكار بربطها -في "تشابك سُرِّي"- بالأشخاص أنتج لنا أفرادا يتهربون من أعمالهم و تقل مردوديتهم أو إتقانهم بمجرد غياب رب العمل، فالمؤسسة هي المدير و المدرسة هي المدير و المستشفى هو المدير و الدولة هي الرئيس و هكذا دواليك...فان غاب هؤلاء تُرك الحبل على الغارب.

أفراد يعملون من أجل الشخص لا من أجل الفكرة..و لا يشعرون بأنهم يعملون، كل في منصبه، و في إطار عام و سياق عام من اجل فكرة هي فكرة دولة قوية " لا تزول بزوال الرجال"..إنما كل لذاته و نفسه و شخصه.

و قد تكون هذه هي طريقة الأفكار التي- قتلناها-في الانتقام لنفسها

"يوم العلم"

من هي الدولة الوحيدة التي تحتفل بذكرى وفاة عالم؟؟؟ من هي الدولة الوحيدة التي تجعل من يوم وفاة عالم احتفاء بالعلم و تسميه "يوم العلم" و الرسول صلى الله عليه و سلم يقول ""إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يَبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسا جُهالًا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا"..

أنا لا احتفل بهذا اليوم و لن أفعل، يوم يذكرني بفقد عزيز و بضياع ما عاش من أجله هذا العزيز، ابن باديس الذي لم تعد هذه الأجيال تعرف عنه سوى صورته التي يتكأ فيها على يده مطأطأ رأسه، و لم يعلموا أنه ما انحنى إلا من ثقل هموم وطن يربض تحت براثن الجهل و الاستعمار. بن باديس الأمازيغي الصنهاجي الذي عاش متشبثا بالإسلام متشبعا بالعروبة فقال " نحن أمازيغ عربنا الإسلام"، بن باديس الذي قال " لو قالت فرنسا لا اله إلا الله لما قلتها"، و نحن اليوم نقول "لب القول ما قالت فرنسا" و كأن كلامها قرآن منزل من أعلى برج إيفل ..بن باديس الذي علّم و قبل أنيُعلِّم رَبّى فرفع شعار "التربية قبل التعليم"..و اليوم لا حُزنا تربية و لا تعليما، و المدارس صارت جدران بلا روح..و لم تعد تنشأ "النشء" الذي كان رجاؤه فيه. بن باديس الذي اهتم بتعليم المرأة إدراكا منه لدورها و أهميته..هاهي اليوم تملأ جدران بيتها شهادات و تخوي أبنائها من القيم.. الرجل الذي أدرك أن معركة التحرير تبدأ بالعقول، و إنما تستنير هذه الأخيرة بنور العلم، فحارب الجهل و الخرافات و الخزعبلات حتى حجرها في أقماع السمسم.. و إن جاز لي القول فإنه كان وحده "أمة"..فقد اتعب فرنسا و أنهكها و لم ترتح إلا عند وفاته التي نحتفل بها نحن اليوم.. فرحمة الله على ابن باديس و الإبراهيمي و العربي التبسي و مبارك الميلي و رجال جمعية العلماء المسلمين الأحرار.. و رحمة الله على مالك بن نبي و مولود قاسم و الشيخ الجيلالي و محمد آركون و غيرهم كثير من رجال هذا الوطن الأحرار الذي رحلوا بصمت و تركوا لنا غزير علم و هيبة تجعلنا نطأطئ رؤوسنا خجلا أمام صورهم..

فلك الله يا وطني ..

"أين أحلامنا؟!"

أمر بجانب المسجد، أسمع أصوات الأطفال تصدح بالقرآن..أصوات بنغمة الفرح و الأمل وتملأني الحسرة لأني أدرك أنها ستغتال ..ستسحق تحت أقدام الواقع !!

كان الشر رسوما تتحرك لا أكثر و لا اقل و كان العالم في نظرنا لوحة جميلة بشمس مشرقة في زاويتها و سماء زرقاء..كنا نتحمل عناء تلوينها بالأزرق حتى يكاد القلم ينفذ و نرفض أن نتركها بيضاء بالغيوم..

و كبرنا و مسحوا الألوان عن لوحتنا..جعلوها باهتة، و تحججوا بأنه الواقع،

كلا لا تلوموا الواقع..الواقع ليس شماعة لتعليق إدعاءاتكم و أنانيتكم

بل أنتم من أوقعه على رؤوسنا..على أحلامنا ..على طموحاتنا..على آمالنا و تطلعاتنا على كل ما كان جميلا داخلنا..و مازلتم تضغطون علينا به ..تريدون سحقنا أو إخراج ما تبقى فينا من نفس..

بعد شفط خزائن الدولة ..جاري سحق أهم ثرواتها ..شبابها!!

حاملو الشهادات..اجعلونا حاملي الشهادتين و أطلقوا علينا الرصاصة الأخيرة و أريحونا..

أين هي جزائر الغد؟؟

تلك التي حلم بها الرجال و أورثونا الحلم حتى لم يبقى لنا من رأس مال غيره..فصرنا نعامل كقُصّر لم يبلغوا الحُلم.

عموما لقد قالوا لنا لا تقلقوا فصحة الرئيس بخير..و لا احد سأل عن صحة الوطن!!

إذا مرض الوطن هل سنأخذه لفرنسا للعلاج..أم ستأتي هي كرما منها لعالجه؟؟

ماذا نقول للجيل الصاعد و نحن نرى الوطن يسير نحو الهاوية..

كيف سنعلمهم احترام الوقت و نحن لا نحترم مواعيدنا..

كيف نعلمهم النزاهة و نحن ننافق و نتعامل بازدواجية صارخة...

كيف نعلمهم احترام العلم و نحن أول من نحتقر هم حاملي الشهادات..

في القلب لوعة و في الصدر حشرجة و في روح كسر و في النفس قهر و ما لنا سوى الله و ما لك سوى الله يا وطني..

obeikandl.com

"شهيد اللغة العربية"

انتهيت بالأمس من قراءة رواية مالك حداد " سأهديك غزالة" بالعربية و قد أجاد محمد ساري ترجمتها حتى لكأني بها كتبت بالعربية، و قد وطأ لها " ياسمينة خضرا"، الكاتب الذي لم قرأ لها يوما و قد لا أفعل، ربما لأن اسمه كان دائما يقف بيني و بينه، فكلما هممت بشراء رواية له تراجعت عن ذلك، فرجل يتستر – مهما كانت الأسباب – خلف اسمي زوجته و ابنته لا أعتقد أن جدير بالتقدير، كان بإمكانه اختيار أي اسم مستعار آخر على الأقل يحافظ به على شيء من الهيبة، عموما هذا رأيي الشخصي..

و ليس هو موضوعنا على كل حال..إنما أردت أن أشير لبعض ما قاله ياسمينة خضرا (رغم أني اشعر بالغرابة في استعمال اسمه المستعار مع المذكر!!):

" ..لقد كذبوا عليه، أوهموه أن موهبته ملعونة و عبقريته كافرة. ذلك أنه كان يؤنسن العالم عبر الفرنسية."

كان هذا رأي ياسمينة خضرا عن صمت مالك حداد و عزوفها عن الكتابة بعد الاستقلال ..و على النقيض من ذلك يأتي رأي أحلام مستغانمي التي أهدت له كل كتباتها و قد قالت عنه اثر لقاءها به : **"كنت بالنسبة إليه رمزاً للجزائر الفتية ، التي صمت ليستمع لصوتها العربي".**

و بين الفرنكفونيين و المتعربين ضاع مالك حداد الذي قال هو عن نفسه : **" اللغة الفرنسية منفاي، ولذا قررت أن أصمت."**

فهل كان شهيدا للغة أم قتيلا لها؟؟

أن لن انصب نفسي حكما في هذه القضية و لن أكون موضوعية..ذلك أن الموضوعية مجرد كذبة كبيرة انساق الكثيرون وراءها و صدقوها..أما أنا فسأبدي رأيي الشخصي و الذاتي في هذا الموضوع ..

اتصلت بوالدتي التي تبعد عني بألف كيلومتر لأسألها فقط هل مالك حداد عندما كان يوزع عليكم الحلوى و أنتم صغار أمام المدرسة كان يحدثكم بالعربية أم بالفرنسية؟؟ و اجزم أن سؤالي هذا قد أثار شكوكها حول صحتي العقلية رغم أني حاولت تمريره في وسط حزمة من أسئلة أخرى!! ربما قالت بينها و بين نفسها " إما أن البنت جُنّت ....أم جُنّت!!"

-"كان يحدثنا بالعربية."

أجل بالفعل كان يفعل ذلك أو هذا ما تمنيت سماعه..أو كأقل تقدير أن تقول لي أنه كان رجلا صامتا..مضربا عن الكلام محتجا بصمته عن تمرد لسانه الذي لا يعرف غير الفرنسية منطقا..

لكنها قالت "كان يحدثنا بالفرنسية"

كان جوابها محبطا..في الكثير من الحان نسأل أسئلة لننتظر الإجابات التي نريدها ..الحقيقة التي نريد سماعها..لكن الحياة لا تسير على هذا النحو ..فتمنحنا الأجوبة التي لا نتوقعها و لا نريدها..

ثم أي نظرية كنت سأبنيها بسؤالي هذا لو قالت انه كان يحدثهم بالعربية..هل كنت سأقول حينها انه كان يكتب بالفرنسية و يحدث الصغار باللغة الأقرب إلى قلبه !!

الفرنسية كانت سجنه الدائم و منفاه..رأيت هذا في كتابه عندما يتحدث أو يورد كلمة " عربية" تحس بانكسار في روحه و حسرة ممزوجة بمرارة العجز أمام لغة بهذا الحجم..

فحتى كلمة " العربية" في حد ذاتها تحيطها هالة من القداسة و الكثير من الهيبة ..

و يخطئ من يعتبر أن اللغة هي وسيلة للتواصل..هذا التعريف ساذج جدا..اللغة اكبر من ذلك، هي امتداد لذواتنا ..هي هوية و سيادة..و قبل كل شيء هي "الأم"..

اللغة الأم...اللغة التي نفرح و نحزن بها..نبتسم و نبكي بها..هي تلك القابعة في دهاليز روحنا.. وحدها القادرة على تحريرنا..فنحرر بها و نتحرر..

فماذا لو كانت هذه اللغة هي " العربية"..اللغة التي أوجدت للحب ٣٤ اسما له و لحالاته..و كأنما الحب بطريقة واحدة لا يكفي..فهو العشق و الهوى و الكلف و الشغف و الشعف و الجوى و التتيم و التبل و التدله و الصبابة و الوجد و الغرام و الود و اللوعة و اللهف و الرسيس و الكمد و الأرق و الغل (رغم أن هذه الاخيرة خرجت عن كونها إحدى حالاته و اتخذت معاني أخرى مذ بدأت تعقيدات الحياة تزحف على تلك القلوب البدوية المحبة)..

اللغة التي تفننت في التدقيق في أسماء الأشياء و الحالات..فوصفت كل درجات البكاء من الفعل أجهش فدمع فهمع فهمى فنحب فنشج فأعول.. وما هذا إلا غيض من فيض..

الثراء اللغوي لهذه اللغة الكريمة المغداقة يا سيد " ياسمينة خضراء" لا يمكن أن يكون سجنا ، و الصحراء واسعة تمتد من الأفق إلى الأفق ..لا تعرف أسوارا و لا غلال..

و هناك في الصحراء توجد "الغزالة" التي كان " مالك حداد" يبحث عنها ليهبها لشعبه و للوطن.

"بين النور و الظلمة"

بعد يوم طويل متعب كل ما رغبت به هو الوصول بسرعة للبيت لارتاح، إلا أن شيئا ما بداخلي ظل يلح علي بالعودة سيرا على الأقدام، و ليت المسافة كانت قريبة!! و لكنها كانت طويلة جدا فما بالك أن تقطعها بعد إحدى عشرة ساعة عمل..لكن ذلك الصوت كان طاغٍ.. تلك الرغبة في اكتشاف المدينة في ذلك الحيز الفاصل بين نور النهار و ظلمة الليل..أو لنقل في نقطة تقاطع الليل و النهار ..كنت مرهقة جدا فلم ادري هل كان سيري بالغريزة أم بالإرادة..هل كنت امشي لأنني يجب أن امشي لأصل أن امشي لأني أريد أن أصل..هناك دائما فرق..فان كان المرء يسير لأنه يجب أن يصل سيسلك أي طريق أما إن كان يمشي لأنه يريد أن يصل فسيختار تما الطريق الأصح و الأقرب..و الرياضيات تعلن أن أقصر الطرق " الطريق المستقيم"..

عندما يبدأ النور ينسحب تاركا مكانه للظلمة ترى ذلك في الأرصفة و على جوانب البنايات.. الظلال تمتد و الأشعة تنسحب..يعود الناس إلى بيوتهم ..المحلات تغلق ..الكل كأنهم يسابقون الزمن للعودة..تبدأ الوجوه الغريبة في الظهور ..ففي النهاية ليست وحدها الأشعة التي تنسحب مع زحف الليل..كذلك الفضيلة تغادر تاركة الساحة للرذيلة..

في كثير من الأحيان عندما أصاب بالأرق و السهاد أفكر " كيف هي الحياة خارج أسوار بيتنا" ماذا يوجد هناك في شوارع المدينة و أزقتها الضيقة، فأشعر بالخوف حينها و لا ادري أخوف من المجهول هو أم من المعلوم بما يحدث هناك!!

و تلك المعركة الدائرة كل يوم بين النهار و الليل، هي نفسها الدائرة في نفس البشرية منذ بداية الخلق بين الخير و الشر، بين الفضيلة و الرذيلة..و الحرب سجال يوم للخير و يوم عليه..

فأحيانا يستوطن الخير النفس و يصل نوره إلى كل أوصالها كقرية استفادة حديثا من خدمة الكهرباء..و في أحيان أخرى ينقض الشر الكامن المتربص في خباياها..ليستفرد بالإنسان و يسيطر عليه..

يقول برنارد شو " ليست الفضيلة في أن نتجنب الرذيلة بل في ألا نشتهيها"..حسنا يا برنارد أنت تصعب علينا الأمور قليلا!!

أنا أقول لك و مع احترامي الشديد طبعا ..لقد جانبت الصواب هنا ..فكل الفضيلة في اشتهائك للرذيلة و مع ذلك لا تأتيها..أن تكون قاب قوسين أو أدنى منها لكن الخير المتأصل فيك يمنعك.. أنت حينها تثبت انك بشري خالص و بالرغم من ذلك فإنك ترتقي بهذه الصفة البشرية إلى رتب الملائكة..فالأمر أشبه بمعركة تنتصر فيها الفئة القليلة على الفئة الكثيرة..

و في النهاية هو الصراع بين الحق و الباطل..

"الباطل " كلمة من أربعة حروف تستند على ألف مدٍ ترتفع بها ثم تتكئ على الطاء لتنتهي بلام متراخية..في حين "الحق" كلمة من حرفين حلقيين يبدءان فيه و ينتهيان هناك ليبقى دائما شوكة في "حلق" الباطل ما دامت السموات و الأرض..فالنور أصل و الظلمة حدث ..الظلمة هي غياب النور في حين أن النور ليس غيابا للظلمة إنما هو وجود و هناك فقط ما يمنع امتداد ه أو يحجبه..و إن حل الليل فهذا ليس لأن الشمس اختفت و لكن لأنها أشرقت في مكان أخرى لتبدد ظلمة أخرى.

openkandl.com

" لا وطن لنا غيرك يا وطني"

كتب فاروق جويدة اليوم قائلا: " عرفت الآن لماذا كانت شعوب العالم دائما تحسد المصريين علي هذه العلاقة الغريبة التي تربط الإنسان المصري بوطنه لا يوجد شعب في العالم أحب بلاده كما أحب المصريون وطنهم.."

مهلا يا سيد جويدة..حب الوطن ليس مقتصرا فقط عليكم ..

فالجزائريون و التونسيون و المغاربة و السوريون و الفلسطينيون و العراقيون و الأتراك و الروس و الأسبان و الكوريون و الايثيوبيون و الفيليبينيون و الكونغوليون و سكان الجزر المنسية و الاسكيمو كلهم منشغلون بحب أوطانهم ..

و لم نسمع يوما بشعب حسد شعبا على حب الوطن..

الوطن هو مسقط الرأس و مهوى الفؤاد..

هو امتدادنا الجغرافي ..هو الأرض التي خلقنا من ترابها و استنشقنا هوائها

هو حيز وجودنا

هو هويتنا

تاريخه هو حياتنا التي عشناها قبل إن نولد..

حب الوطن ليس حكرا على شعب دون آخر ..

حب الوطن فطري و غير مشروط..

و نحن نهوى جزائرنا و نحيي اليوم الذكرى الواحدة و الخمسين على الاستقلال

نحتفل بها على مضض..ذلك أن من وقعوا وثيقة استقلالنا اختاروا لنا تاريخا مربكا لحدث بهذه القيمة

اختاروا لنا يوم احتلال فرنسا للجزائر لجعله يوم خروجها منها

obeikandi.com

فهل كان هذا الاختيار لإذلال فرنسا..أم أن فرنسا التي منحتنا استقلالا وهميا أرادتنا أن نواصل احتفالنا دون أن نعي بذكرى احتلالها لنا..

و أنا اجزم أن الكثير في دهاليز الحكم يحتفلون سرا بدخول فرنسا..

بعد واحد و خمسين سنة لا يزال هذا الشعب يرزح تحت ثقل الخيبات..و الوطن يئن.

واحد وخمسين سنة من الاستقلال الوهمي أو شبه استقلال أو أيا كان إلا استقلالا كاملا.. لكن برغم كل هذا لازلنا مستعدين أن نزايد عدد شهدائنا على المليون و النصف لاسترجاع النصف الآخر أو إتمام استقلالنا ..لا لأننا من أحفاد الشهداء أو أبناء المجاهدين..بل لأننا أبناء هذا الوطن و لأننا لا نملك وطننا غيره..

و كما قال الشاعر:

إنـي اخـترتـك يـا وطـني*** حباً وطـــواعـــية

إنـي اخـترتـك يـا وطـني***سرا وعـــــلانـيـة

عيد "استقلال" مجيد يا وطني..كل عام و أنت "حر"..

obeikandl.com

"اختلاف لا خلاف"

تقول أسطورة برج بابل المذكورة في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين أن الأرض كلها كانت لغة واحدة و كلاما واحدا، و بعد الطوفان استقر أبناء نوح في بقعة في أرض شِنْعَار و قرروا أن يبنوا مدينة و برجا حتى لا يتبددوا على وجه الأرض، و لما رأى الرب ذلك قرر أن يشتت شملهم و "يبلبل" لغتهم، و ذلك لمنعهم من فرض لغتهم كلغة واحدة و لجعلهم ينتشرون ليعمروا الأرض.

إن كان هناك من مغزى أريد استخلاصه من هذه القصة – بغض النظر عن مدى صحتها- فإنه حتما رغبة " الرب" في تنويع و اختلاف الألسن.

و بإسقاط مغزى أو فكرة هذه القصة – و التي هي "التنوع و الاختلاف"- على جوانب الحياة، فإننا لا نجد -مبدئيا و من الناحية الشكلية- من البشر اثنان متطابقان تماما، فحتى بالنسبة للتوائم الحقيقية فان هناك دائما نقاط اختلاف و إن لم تبدو للعيان. و ما هذا إلا تجلي لعظمة الخالق و بديع صنعه.

فالاختلاف و التنوع من نواميس هذا الكون، و لو شاء الله لخلقنا على صورة واحدة و لسان واحد و شرعا واحد، لكنه لم يفعل، و جعلنا سودا و بيضا، شعوبا و قبائل، عربا و عجما.. فاختلفنا و انقسمنا و تنوعنا و أثرينا هذا الكون..

ثم نسي البشر كل ما يفرقهم و بحثوا عما يجمعهم، فاجتمعوا على أساس الدم و القبيلة و العرق و اللغة و الدين و الإيديولوجية، و بذلك تشكلت اللحمة التي تربطهم، و انصهروا فيما بينهم..

و يمكن اعتبار " العصبية" أقصى تجليات هذا الانصهار..فأن يستميت إنسان في الدفاع عن قضية تخص إنسانا غيره فقط لرابطة ما تربطهما و كأن القضية قضيته و هو صاحبها..لأمر يدعو للتعجب!!.

و على قدر ما خدمت هذه الغريزة (أي العصبية) البشر بدفعهم للتعايش في مجموعات على أساسها قام العمران -حسب ابن خلدون-، فقد كان لها مفعول عكسي على مسار التاريخ الإنساني ذلك أن العصبية للأهل و القوم تحولت في كثير من الأحيان إلى "تعصب"..

و للتفريق بين المصطلحين عندي فإنني اقصد بالعصبية هي تجمع قوم حول شخص ما أو فكرة لنصرتها ـ و أقصد بالتعصب هي المغالاة في هذه النصرة..

و إن كانت العصبية قد أنتجت دولا و حضارات، فإن التعصب على النقيض من ذلك ألغى دولا و حضارات، ذلك أن المتعصب لا يرى وجوده إلا بالقضاء على الآخر (و الأمثلة كثيرة الهنود الحمر في أمريكا..الفلسطينيين في فلسطين..الروهينجا في بورما..)

و التعصب هو شكل من أشكال الرفض لسنة من سنن الله في هذا الكون و هي "الاختلاف"، و لو عُرف فضل الاختلاف لقُبل بصدر رحب، فلولا وجود هذا الاختلاف لما تحركت و تقدمت الحياة، تصوروا عالما بعرق واحد و إيديولوجية واحدة و دين واحد ستسير الحياة عندها في خط ثابت رتيب، و لولا الاختلاف لما عرفنا فضل النور على الظلمة و الحق على الباطل و العدل على الظلم "فبضدها تعرف الأشياء"، و لو شاء الله لنزع رحمته هذه من هذا الكون..

و كما تعصب الناس لاديولوجيات و قوميات و أديان مختلفة، فبإمكانهم البحث عن شيء أكبر يجمعهم، "الإنسانية" فنحن ننتمي للجنس البشري و نمتلك نفس الفيزيولوجية و ما يجمعنا أكثر بكثير مما يفرقنا، و حتى و إن اختلفنا فاختلافنا هذا لا يعني بالضرورة إلغاء الآخر و رفضه و تحقيره.. ويمكن اعتبار العنصرية و الشوفينية و الشعوبية و القومية من أسوء أنواع التعصب ذلك أنها تفرق بين الناس على أسس لم يختاروها هم فلا احد اختار لونه أو عرقه أو جنسيته..

و لا أجمل من الختم بقول رب العزة : (يَاأَيُّهَا النَّاسُإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍوَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواإِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْإِنَّاللَّهَ عَلِيمٌخَبِيرٌ)، وقد فسرها ابن عطية بأن القصد منها التسوية بين الناس ، و المقصود بـ "لتعارفوا" أي لئلا تفاخَروا ، ويُريد بعضكم أن يَكون أكرَم مِن بعض .

"بين دفتي كتاب" *

طيلة الأسبوع الفارط و أنا أعيش ما عاشه قيس بالملوح حين قال " اعد الليالي ليلة بعد ليلة *** و قد عشت دهرا لا اعد اليالي"..انتظر قدوم السبت على جمر و التساؤلات لا تفارقني " هل ستنجح الفكرة؟" " و هل سيحضر عدد محترم أم محتشم؟؟" و هل و هل ...

حتى جاء اليوم الموعود، و قد أقنعت نفسي حينها أنني ذاهبة بالرغم من كل شيء ..و أخذت معي مطارية ..حتى و إن أمطرت فلن اخلف عهدا قطعته لكتاب أحببته..

وصلت حديقة بن ناصر ..ميدان المعركة ..و قد كانت بالفعل معركة..معركة بين العلم و الجهل...كانت بالنسبة لي معركة لاسترداد حقنا في الوجود كقراء في هذه المدينة..

كان من المفارقات أن أجلس بين شيخين، الذي عن يميني يقول لي " اللي قرا قرا بكري" و الذي عن شمالي يقول لي " الناس تقدمت بالعلم" و على أنغام الشابة يمينة كنت أقرأ ثقافة العبث في عبثية زمن يدوي فيه الغناء الهابط في وسط المدينة كأمر عادي و مقبول و يسحب القارئ كتابه تحت أنظار الريبة و الاستغراب..

لم أكن وحدي هناك.. كنت بين أهلي و قومي و عشيرتي ..أولئك الذين لبوا النداء و قد رتبوا ساعات من وقتهم و اقتطعوا وقتا من عمرهم ليحضروا من كل أنحاء المدينة ليثبتوا أنهم هنا و أنهم أولى بهذه الأماكن من غيرهم ..و أنهم وجه المدينة الأبيض الكريم .. لا قفاها..

" أنا اقرأ..أنا موجود"..

أنا موجود في الحديقة العامة ..و الحافلة ..و محطة الانتظار..و في البيت و المكتبة و في كل مكان..

كان هذا اليوم ..يوم غرس الفكرة...التي سنتعهدها بالرعاية حتى تنمو و تثمر..و قد ضربنا موعدا لنا في نفس المكان الأسبوع المقبل حتى نكرس مثل هذا الفعل..

***هذا المقال كتب إثر فعاليات أيام القراءة بقسنطينة و التي تهدف إلى تكريس عادة القراءة في الأماكن العامة، حيث اجتمع مجموعة من الشباب في الحديقة العامة بوسط المدينة من اجل القراءة و تبادل الكتب.**

فشكرا لأبناء الكرام الذين حضروا اليوم...

شكرا لكم كبارا و صغارا..نساءا و رجالا..

شكرا للصفحات القسنطينية التي حضرت لتغطية الحدث..

شكرا للكتب التي حضرت و أضاء نورها المكان ..

شكرا لمن نوى الحضور و لم تسمح ظروفه..

شكرا لكل من أيد الفكرة من قريب أو بعيد و تحمس لها..

نم يا بن ناصر الليلة قرير العين.

obeikandl.com

"السعادة"

السعادة والدة تدعو لي كل يوم.. ☻
السعادة طفلة صغيرة توشوشني "أحبك بحجم السماء" لأنها أدركت أن السماء اكبر من البحر..
السعادة نهاية يوم متعب.. ✯✯
السعادة بيت أعود إليه بعد نهاية العمل..
السعادة شربة ماء..
السعادة فراش وثير..
السعادة كوب حليب ساخن في يوم بارد..
السعادة ضحكات الصديقات..
السعادة عيون من أحب..
السعادة مناجاة الرب..
السعادة إيمان في القلب..
السعادة مكتبة..
السعادة كتاب.. ✍
السعادة صفحة في كتاب..
السعادة فقرة في كتاب خيطت من روحي.. ✿ ❀
السعادة ذكريات الطفولة..
العادة قدرة على التعبير.. ✎
السعادة بصيرة..
السعادة غنى النفس.. *^_^*
السعادة أسراب الحمام
السعادة زخات المطر ☂☂
السعادة صوت فيروز تغني بالفصحى.. ✿♫♪♥♫
السعادة عودة إخوتي من الغربة.. ✈
السعادة فضفضة الأصدقاء..
السعادة نقاء الروح..
السعادة صحوة ضمير.. ❋
السعادة اجتماع العائلة..
السعادة بوح صادق..

obeikandl.com

السعادة هدية بسيطة من شخص عزيز.. ❁ ❋

السعادة رشة عطر..

السعادة انتصار الحق..

السعادة تفريج كرب..

السعادة بياض الثلج.. ❄ ❄

السعادة غمزة الشمس.. ✪☼

السعادة طعم السكر..

السعادة زرقة السماء..

السعادة لقاء صدفة.. ஐ

السعادة يقين بحلم..

السعادة شعور بالامتنان.. ❦

السعادة دمعة فرح صادقة..

السعادة مشاكسات و نكات ثقيلة..

السعادة محبة خالصة.. ❉

السعادة خرير الماء و تغريد الطيور..

السعادة شعور بالثقة.. ♕

السعادة تفاصيل يومية صغيرة..

السعادة أن أكتب عن السعادة في مسحة حزن تعتمرني..

دمتم سعداء ♣♠

obeikandl.com

"حسرات"

كانت أول مرة أذهب فيها إلى هناك، ركبت الحافلة و جلست أمام النافذة أتأمل الدور و المباني..ووجوه الناس. نزلت من الحافلة فبادرتني رائحة الأغنام بالتحية و فاجئني منظر الأبقار تتجول بشكل عادي في الشوارع و بين السيارات، لا تزعج البشر هناك و لا البشر يزعجونها ، في مشهد لا نراه سوى في الهند..فقلت في نفسي " يا ويلي ما هذا المكان الذي سأعمل فيه!!"و مرت الأيام و اعتدت المكان و الرائحة و الناس و الأبقار..فللعادة طغيان!! و بعد قرابة السنتين ها أنا أغادر ذلك المكان و تعلق في روحي روائحه، و لا أدري أتركت قطعة مني هناك أم أخذت قطعة منه معي. يضج رأسي بالذكريات و أسماء أطفال و ألقابهم..و أتعجب كيف لذاكرتي أن تحمل كل هذا !! و كيف لقلب بحجم القبضة أن يتسع لكل هؤلاء!! أغادر المكان و حسرات لا حسرة واحدة تثقل كاهلي..

حسرة على "نسرين" التي لطالما أحبت الدراسة و اللغة الفرنسية ..لكنها توقفت عنها هذا العام لأنها ابتُليت بوالد أحمق لا يرى من جدوى في تعليم ابنته..

حسرة على "شيماء" التي قررت أن تستقبل العام الدراسي الجديد بمسح بقايا البراءة في وجهها..

حسرة على عبد الرزاق الذي التقيته منذ أيام قليلة و لما حدثته اكتشفت أنه منتشي تماما بالمخدرات.. حسرة على "ربيع" الذي طلب مني أن أملأ له استمارة الدخول المدرسي لأن يده مكسورة و لما سألته عن مهنة والده،هرب بعينيه مني و طأطأ رأسه و أجاب " يعني هو يبريكولي" و سكت برهة..فعرفت الكلمة و أحسست بها تحشرج و تتردد صعودا و نزولا في حلقه قبل أن ينطق بها " اكتبي بطال" ..فانكسرت نفسي أمامه و استحيى حيائي من حيائه..

حسرة على أطفال "تافرنت" الذين يقتاتون على الخبز و الزيتون.. حسرة على صوت الماء في أحذيتهم الممزقة في أقسى برد الشتاء.. و أكبر حسراتي على ذلك الحلم الذي اغتيل فينا يوما و لا أثر له اليوم عند هؤلاء الأطفال.. أسأل بعضهم " ماذا تريدون أن تصبحوا عندما تكبرون؟؟؟" أرى وقع السؤال و غرابته في عيونهم، و تعجز ألسنتهم عن الإجابة..بل منهم من لم يفهمه أصلا!!

***

تمر سنتان أحزم ذكرياتي لأغادر المكان، اجلس في الحافلة و انظر من النافذة، أجول ببصري ..كل شيء في المكان صار مألوفا.. الناس و الوجوه و الأبقار ..هناك في وسط الطريق بقرة تحتضر، يجري صاحبها ليسارع بذبحها قبل أن تموت ، يتجمع حوله عدد كبير من التلاميذ في مشهد غريب..أفكر في التقاط صورة له لكن تكبحني مروءتي تقول "مهـــــلا فللمـــــوت هيبـــــة و حرمـــــة و لـــــو كـــــان الميـــــت بقـــــرة" اكتفي بالتأمل ..تذبح البقرة و يصرخ الأطفال فرحا دون أن يريعهم منظر الدماء تسيل، و يريعني أنا منظرهم ذاك.. وأتيقن أننا شعب لا تخيفه الدماء و الموت، لا تخيفه عشرية ســـــوداء و لا قـــــرون مـــــن الحـــــرب و لكنـــــه يتحـــــين الفـــــرص فقـــــط.. أيقنت أننا و إن عجزنا عن توريث الحلم للأجيال من بعدنا، فلا شيء سيمنع من إيراثهم تلك الشـــــجاعة الكامنـــــة فـــــي كـــــل حجـــــر و نبـــــتٍ فـــــي هـــــذا الـــــوطن.. أطبق ذاكرتي على ذاك المشهد و أطوي صفحة من حياتي ، أتطلع إلى الأمام لأرى ما يخبؤه لي القدر.

"خيبة و وجع"

خيبة و وجع والحصيلة اثنان..
و الاثنان يدان تمتدان لتمسكا بمقاليد السماء..

و في السماء غيمة
تنقطع اليدين و تنتفض الغيمة فتُسقِط مطرا يبارك أرضا..
و على الأرض نفوس تلتحف خطاياها لتتقي من طهر المطر ..
و الخطايا ثلاثٌ: كبر و جشع و أنانية قررت بإيحاء من الشيطان عقد تحالف بينها..
هناك في وسط الطريق يقف رجل بقامة وطن يحمل آلة تصوير يلتقط زخات المطر فتخرج الصورة بطعم الملح..
ذاكرة الآلة خاوية و ذاكرة الرجل محتشدة ...وجوه بلا ملامح..ابتسامات فارغة و أفواه فاغرة ..
يزيد المطر في التساقط .. تتكاثر الوجوه في ذاكرة الرجل و تعلو أصوات ضحكات الخطايا المتحالفة..
ينتفض الرجل تهتز الأرض من تحته.. فتخرج من تحت قدميه الدماء و يصير المطر حبرا..
الخطايا تنتظر توقف المطر.. و تستمر في التحالف ..و الضحك
تتقاسم الأرض من تحت قدمي الرجل..
يتوقف المطر..
تخرج الخطايا الثلاث ..تتبعها خطيئاتها الصغيرة..
ينزوي الرجل إلى زاويته..
و الزاوية تقاطع خطين..و الخطان اثنان
و الاثنان خيبة و وجع.

obeikandl.com

"مالك بن نبي و يوم القراءة"
(مقال اعتذار)

لا ادري كيف اتفقت كل ذكرياتي السيئة و ضربت لبعضها موعدا بالالتقاء في فصل الصيف... ولذا لا أحبذ هذا الفصل إطلاقا، غير أن أكتوبر يبقى بامتياز الأسوأ عندي..لا لأسباب شخصية بيننا، و لكنه كقهوة صباحية مركزة تبقى مرارتها في الحلق حتى المساء.. كذلك أكتوبر يبقي لي مرارته إلى آخره، عندما تحل علي ذكرى أستاذي و أبي الروحي " مالك بن نبي "، و إن كنت أنكر وفاة العظماء ، إلا أن ما يعيد إيقاظ مشاعر الحسرة و الحرقة على رجل أفنى عمره لنشر وعي و وضع أسس فكر جديد، فمات مرتين، مرة في ذات أكتوبر في الواحد و الثلاثين ، و مرة مات على أيدينا يوم أهملنا نتاجه الحضاري ، و لعمري فإن الميتة الثانية أشنع. و من يضطلع على "مذكرات شاهد للقرن" يدرك أن الرجل لم يكتب ما كتب و هو جالس على مكتب فاخر يحتسي شايا و يتأمل عبر نافذة مكتبه حديقة بيته، وإنما اعتصرته الحياة و اعتركته فاستخلصت منه فكرا تُقام به الحضارات..أدركه آخرون و غفلنا عنه نحن..هذا الرجل توفاه الله منذ أربعين سنة، و لا يزال نتاجه يصلنا إلى اليوم..لا بل أقول ما زلنا نحاول الوصول إليه واللحاق به إلى اليوم.. في الحقيقة لم أكن أنوي كتابة مقال تأبيني في ذكرى وفاته، و لا التحدث عن شخصه و لا إحاطته بهالة من القداسة و لا أي شيء من هذا القبيل ..ذلك أني سأبقى وفية لما تعلمته منه، بأن نعي فكره و ندرسه و ننطلق به ونبني عليه غير مجسيدينه في شخصه وهو القائل: " إن خطر التجسيد قد وضعه القرآن صراحة في وعينا بقوله: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) هذا التحذير ليس موجهاً هنا لتفادي خطأ أو انحراف مستحيل من الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه من أجل الإشارة إلى خطر تجسيد الأفكار بحد ذاته." و لكن ما دفعني حقيقة للكتابة هو ما حدث معي بالأمس على إثر قيام أحد معارفي بإطلاق حدث يوم القراءة على صفحته بعد إطلاقي لنفس الحدث من حسابي الشخصي، و وجدتني في لحظة ما أتجادل معه حول أحقية وجود حدث واحد هو الذي أطلقته أنا ، و لم أنتبه إلى فكرة أنه أراد بحسن نية دعم الحدث وجلب أكبر عدد من المشتركين في حين أني أردت بشكل ما إلصاق الحدث بي متناسية مبدئي الأسمى وهو نجاح الفكرة بعيدا عن أية اعتبارات أخرى، و لكن الطبيعة البشرية هكذا، متأصل فيها حب التملك و نزعة الاستيلاء وفكرة لأرباب الصغار: رب الأسرة و رب البيت و رب العمل و

رب الفكرة.. في غمرة ذاك الحديث استيقظت فيّ غريزة بشرية ربما هي الرغبة في امتلاك الفكرة و نسبتها إلي..و هنا أعلن ضميري مخالفة واضحة لغريزتي البشرية لصالح مبادئي الفكرية ، فما فتئت أن ثبت إلى رشدي و تبت عن غيي و تذكرت أستاذي بن نبي كيف انه لم يفكر في نفسه يوما و لم يتبجح بكون معادلة الحضارة من وضعه،و كل همه كان أن ينشر وعيا بين الناس رغم التضييق الذي موريس عليه، فلم يرتقي إلا بعد أن تخلص من قيود النفس البشرية. و هذا النهج الذي كان علي إتباعه، أن أتخلى عن أنانيتي لأجل هدف أسمى، و فكرة أنبل، فكرة كنت اعتقد خطأ أني أحملها ولم أدرك أن الأفكار النبيلة هي من تحملنا على أكتافها وترتقي و لا تحتاج منا إلا أن نؤمن بها بإخلاص، و في النهاية ما نسعى إليه في تنظيم يوم القراءة ، ليس مجرد الجلوس والقراءة وإلا لكانت بيوتنا أحسن، و لكن الهدف هو نقل عدوى القراءة إلى غيرنا ، و اختيارنا لذلك المكان العام الذي يعد مرتعا لفئات مختلفة ، و قد تحدثنا هناك مع شيخ ثمل و شاب خرج حديثا من السجن و كبار في السن مثقفين و مراهقين أقناعهم بالجلوس للقراءة..وزعنا كتبا على الجالسين هناك ممن أتوا لا بنية القراءة فوجدوا أنفسهم بين دفتي كتاب. لم نجتمع هناك فقط لنقرأ، إنما لنتقدم بخطوات حذرة -نحن المثقفين- نحو أرض العامة و بسطاء الشعب، فنسقط الحواجز بيننا، و نمد أيدينا لهم و نسحبهم إلى ميداننا كحبات سبحة حبة حبة، و ليس بالضرورة جعل الجميع مثقفين ، لكن الفكرة أن نذيب الجليد بين أطياف المجتمع..أن نحبب الكتاب للناس ..و أن نصيبهم بعدوى القراءة كخطوة أولى و مبدئية نحو بناء مجتمع منفتح و واعي و متسامح.. فكيف لغايات سامية كهذه أن تكبحها رغبات أنانية، و كيف لي أنا التي طالما اقتنعت بضرورة تفادي تجسيد الفكرة أحاول إلصاق فكرة بي و ما أنا التي ابتدعتها أساسا لأنها كانت موجودة في قلوب الأوفياء الذين حضروا في كل مرة..

ولهذا اعتذر لمبادئي ..لأستاذي مالك بن نبي...و للكتاب

الفهرس

١. توطئة.....4
٢. على قدر حلمك يتسع الكون.....5
٣. تناقضات.....7
٤. و يعود أيار 9
٥. قفوا عن العتبة.....11
٦. و يبقى الأمل.....12
٧. دردشة.....13
٨. كرامة في طريق الزوال 15
٩. لمن أهدي صوتي.....17
١٠. عيون المها.....19
١١. هكذا تقتل الأفكار.....22
١٢. يوم العلم.....24
١٣.أين أحلامنا.....25
١٤. شهيد اللغة العربية.....27
١٥. بين النور و الظلمة.....29
١٦. لا وطن لنا غيرك يا وطني.....31
١٧. اختلاف لا خلاف.....33
١٨. بين دفتي كتاب.....35
١٩. السعادة.....37
٢٠. حسرات.....39
٢١. خيبة و وجع.....41
٢٢. مالك بن نبي و يوم القراءة (مقال اعتذار).....42

obeikandi.com